دور المدينة المنورة في تطوير الإدارة والسياسة

في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

The Role of Al-Madinah Al-Munawwarah in the

Development of Administration and Politics during the Era

of the Prophet ﷺ

م.د ليلى رحيم كاظم

M.D. Layla Rahim Kazem

وزارة التربية – المديرية العامة لتربية بغداد/ الكرخ الثانية

laylaraheem.k1976@gmail.com

١٤٤٧هـ ٢٠٢٥م

الملخص:

يدرس هذا البحث دراسة دور المدينة المنورة في تطوير الإدارة والسياسة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بوصفها أول نموذج تطبيقي للدولة الإسلامية التي قامت على أسس تنظيمية وسياسية واضحة تجاوزت أنماط الحكم القبلية السائدة في شبه الجزيرة العربية آنذاك، ويهدف البحث إلى إبراز التحول الجوهري الذي شهدته المدينة المنورة بعد الهجرة النبوية حيث انتقلت من مجتمع قبلي متعدد الولاءات إلى كيان سياسي موحَّد تحكمه مبادئ الشرعية، والتنظيم الإداري، والعدل، والشورى، والتعايش المجتمعي، واعتمد البحث المنهج التاريخي التحليلي بتتبع الأحداث السياسية والإدارية في المدينة المنورة، وتحليل ممارسات النبي صلى الله عليه وسلم بوصفه قائدًا للدولة ورئيسًا لسلطاتها التنفيذية والقضائية والعسكرية، مع بيان الأسس التي قامت عليها الإدارة النبوية، مثل تنظيم الجهاز الإداري، وتعيين الولاة والعمّال، وإدارة الموارد المالية، وإرساء القضاء، وتنظيم العلاقات الداخلية والخارجية، كما ذكر البحث القيم الحاكمة للسياسة النبوية وفي مقدمتها الحكمة، والمرونة، والعدل، ومراعاة المقاصد، مبرزًا تجلياتها التطبيقية في نماذج عملية مثل مبدأ الشورى في صناعة القرار، وصلح الحديبية بوصفه نموذجًا سياسيًا مقاصديًا وسياسة تأليف القلوب وتنظيم العلاقات مع القبائل واليهود والمنافقين في إطار يحفظ وحدة الدولة واستقرارها، وأبرز البحث أهمية صحيفة المدينة باعتبارها وثيقة سياسية وإدارية رائدة أسهمت في ترسيخ مفهوم الدولة الجامعة والمواطنة. ويخلص البحث إلى أن التجربة الإدارية والسياسية في المدينة المنورة قدّمت نموذجًا متكاملًا للحكم الرشيد القائم على التوازن بين الثوابت الشرعية ومتطلبات الواقع مما يجعلها تجربة ثرية قابلة للاستلهام في الدراسات السياسية والإدارية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: يثريب، المدينة المنورة، صحيفة المدينة، الشورى.

Abstract :

This research examines the role of Medina in the development of administration and politics during the time of the Prophet Muhammad (peace be upon him), as the first practical model of the Islamic state, which was founded on clear organizational and political principles that transcended the tribal governance patterns prevalent in the Arabian Peninsula at that time. The research aims to highlight the fundamental transformation that Medina underwent after the Prophet's migration, as it moved from a tribal society with multiple loyalties to a unified political entity governed by the principles of legitimacy, administrative organization, justice, consultation, and social coexistence. The research adopted the historical analytical method by tracing the political and administrative events in Medina and analyzing the practices of the Prophet Muhammad (peace be upon him) as the leader of the state and head of its executive, judicial, and military authorities. It also clarifies the foundations upon which the Prophetic administration was based, such as organizing the administrative apparatus, appointing governors and officials, managing financial resources, establishing the judiciary, and regulating internal and external relations. The research also addresses the governing values of Prophetic politics, foremost among them wisdom, flexibility, justice, and consideration of objectives, highlighting their practical manifestations in practical models such as the principle of consultation in decision-making. The Treaty of Hudaybiyyah serves as a model of political objectives and a policy of winning hearts and minds, regulating relations with the tribes, the Jews, and the hypocrites within a framework that preserves the unity and stability of the state. The research highlights the importance of the Constitution of Medina as a pioneering political and administrative document that contributed to establishing the concept of a unified state and citizenship. The research concludes that the administrative and political experience in Medina presented a comprehensive model of good governance based on a balance between established religious principles and the demands of reality, making it a rich and valuable experience for contemporary political and administrative studies.

Keywords: Yathrib, Medina, Constitution of Medina, Shura (consultation)

مقدمة:

تمثّل المدينة المنورة محطةً مفصلية في التاريخ الإسلامي ليس فقط لكونها دار الهجرة النبوية ومهبط التشريع العملي بل لأنها شكّلت أول نموذج تطبيقي لدولة إسلامية قائمة على أسس إدارية وسياسية واضحة المعالم، فبانتقال النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى يثرب سنة ٦٢٢ م، تحوّلت هذه المدينة من تجمع قبلي متنازع إلى كيان سياسي منظم أُرسيَت فيه دعائم الحكم الرشيد وقواعد الإدارة العامة ومبادئ السياسة الشرعية التي ما زالت تُعدّ مرجعًا فكريًا وتشريعيًا إلى اليوم.

لقد شهدت المدينة المنورة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم تطورًا نوعيًا في بنية السلطة السياسية إذ انتقلت من أنماط الحكم القبلية القائمة على العصبية إلى نظام سياسي يقوم على التعاقد الاجتماعي، والمواطنة، وسيادة القانون، والمساءلة، والشورى ويُعدّ دستور المدينة (صحيفة المدينة) أبرز شاهد على هذا التحول، إذ مثّل وثيقة سياسية وإدارية غير مسبوقة في محيطها الزماني والمكاني نظّمت العلاقة بين مكونات المجتمع المختلفة من مسلمين ويهود وغيرهم وحددت الحقوق والواجبات ورسّخت مفهوم الدولة الجامعة التي تتجاوز الانتماءات الضيقة.

كما برز الدور الإداري للمدينة المنورة بالتنظيم الدقيق لشؤون المجتمع إذ أسّس النبي صلى الله عليه وسلم جهازًا إداريًا يسيرا في شكله عميقًا في مضمونه شمل تنظيم الجباية (الزكاة)، وإدارة المال العام (بيت المال)، وتعيين الولاة والعمّال، وتنظيم القضاء، وإرساء قواعد واضحة لإدارة السلم والحرب، والعلاقات الداخلية والخارجية وقد اتسمت هذه الإدارة بالمرونة، والعدل، وربط السلطة بالقيم الأخلاقية، مما جعلها نموذجًا فريدًا في تاريخ النظم السياسية.

وتكمن أهمية دراسة دور المدينة المنورة في تطوير الإدارة والسياسة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في كونها تمثل الأساس النظري والعملي للفكر السياسي الإسلامي، إذ لم تكن مجرد عاصمة دينية بل كانت مركزًا لصناعة القرار السياسي وإدارة الدولة وبناء المجتمع، ثم إن التجربة المدنية النبوية أسهمت في تشكيل الوعي السياسي للأمة الإسلامية وانعكست آثارها بوضوح في نظم الحكم التي قامت في العصور اللاحقة. وانطلاقًا من ذلك، يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على معالم التجربة الإدارية والسياسية في المدينة المنورة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبيان أثرها في بناء الدولة الإسلامية الأولى.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية هذا البحث حول مدى إسهام المدينة المنورة في تأسيس وتطوير النظامين الإداري والسياسي للدولة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكيفية انتقال المجتمع من البناء القبلي إلى كيان سياسي منظم يقوم على مبادئ الشرعية، والتنظيم الإداري، والتعايش المجتمعي.

وتنبع الإشكالية من محدودية الدراسات التي تناولت هذه التجربة بمنهج تحليلي يبرز أبعادها السياسية والإدارية، ولا سيما دور صحيفة المدينة في تنظيم العلاقات داخل المجتمع، وأثر ذلك في ترسيخ أسس الحكم والإدارة في الإسلام.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من عدة اعتبارات من أهمها:

١. يسلط الضوء على مرحلة تأسيس الدولة الإسلامية الأولى ويكشف عن الدور المحوري للمدينة المنورة بوصفها عاصمة سياسية وإدارية.

٢. يرفد الدراسات المتخصصة في الفكر السياسي الإسلامي بنموذج تطبيقي عملي، يتمثل في الإدارة النبوية للدولة.

٣. يبرز إسهام الإسلام في تطوير مفاهيم الحكم الرشيد، والعدالة، والتنظيم الإداري، قبل ظهور كثير من النظريات السياسية الحديثة.

٤. يعالج نقص الدراسات التي تجمع بين التحليل التاريخي والسياسي للتجربة المدنية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، أبرزها:

١. بيان الدور الذي أدته المدينة المنورة في نشأة وتطور الإدارة السياسية في الإسلام.

٢. تحليل الأسس الإدارية والتنظيمية التي اعتمدها النبي صلى الله عليه وسلم في إدارة شؤون الدولة.

٣. إبراز الخصائص السياسية لدولة المدينة، ولا سيما مبدأ الشورى، والعدل، والمواطنة.

٤. تقديم رؤية علمية تُسهم في إثراء الفكر السياسي الإسلامي المعاصر.

منهج الدراسة

يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، بتتبع الأحداث السياسية والإدارية التي شهدتها المدينة المنورة خلال عهد النبي صلى الله عليه وسلم وتحليلها في سياقها الزماني والمكاني، مع ربطها بالواقع الاجتماعي والسياسي آنذاك.

الدراسات السابقة:

دراسة محسن صويلح سعيد احنين(٢٠١٧)، بعنوان: إدارة التغيير في الإسلام (دراسة تحليلية في البناء الإداري للمدينة المنورة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم).

هدفت الدراسة إلى تحليل مفهوم إدارة التغيير في الإسلام عن طريق تجربة المدينة المنورة في العهد النبوي، مع التركيز على البناء الإداري الذي تبنّاه النبي صلى الله عليه وسلم لتحويل مجتمع قبلي متفتت إلى كيان سياسي وإداري متكامل، وتبرز الدراسة أن التغيير في الإسلام ليس عشوائيًا، بل هو تغيير موجّه يخدم مصالح الدولة والمجتمع ويستند إلى المبادئ الشرعية، كما توضح كيف استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يحقق هذا التغيير من خلال مؤسسات الدولة الناشئة مثل الشورى، القضاء، وبيت المال، وتنظيم المسؤوليات حسب الكفاءات.

وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لوصف وتفسير مظاهر إدارة التغيير في المجتمع المدني الإسلامي، مستندة إلى نصوص السنة النبوية الصحيحة، مع التركيز على كيفية تطبيقها في الواقع الإداري والسياسي للمدينة المنورة.

وتشير النتائج إلى أن المدينة المنورة مثلت نموذجًا متكاملاً لإدارة التغيير البنيوي، حيث أسهمت الإدارة النبوية في التحول الاجتماعي والسياسي والإداري للمجتمع، مؤمنة استقرار الدولة الإسلامية وتوافقها مع الشريعة، كما توصي الدراسة بمواصلة البحث في إدارة التغيير في الإسلام وربطها بالواقع الإداري الحديث، وفتح دراسات مقارنة بين التجربة النبوية ومفاهيم الإدارة الحديثة، لتعزيز فهم آليات التحوّل المؤسسي والمجتمعي.

دراسة نائلة عبد الرحمن أبو عويضة (٢٠١١)، بعنوان: إدارة الأزمات السياسية والعسكرية في ضوء السنة النبوية.

هدفت الدراسة إلى استجلاء المبادئ الإدارية والسياسية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في مواجهة الأزمات التي واجهتها الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة، سواء كانت أزمات داخلية تتعلق بتنظيم المجتمع، أو أزمات خارجية تتعلق بالصراع مع القبائل والأمم المحيطة وقد جُمعت الأدلة من النصوص الحديثية الصحيحة وتحليلها وفق منهجية دراسية حديثية موضوعية، تركز على استخلاص الأسس العملية لإدارة الأزمات من السنة النبوية.

وذكرت الدراسة عن طريق تحليل حديثي موضوعي نماذج متعددة للأزمات السياسية والعسكرية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، مثل الأزمات التي سبقت غزوة بدر وأحد والحديبية، وكذلك المواقف التي عالجت الصراعات الداخلية في المدينة، مع إبراز كيفية اتخاذ القرار، والحكمة، والشورى، والقيادة الرشيدة في أحلك الظروف. وتُبرز الدراسة كيف أن السنة النبوية قد وفرت إطارًا متكاملاً لإدارة الأزمات يستند إلى مبادئ العدالة والحكمة والتخطيط الاستراتيجي والتكتيك الذكي، وهو ما يجعل تجربتها ذات قيمة معرفية وتطبيقية حتى في سياقات العصر الحديث.

وتتميّز الدراسة بأنها تستند إلى مصادر الحديث النبوي الموثوقة وتُحلّل كيفية تطبيق النبي صلى الله عليه وسلم للسنة في الواقع السياسي والعسكري، بعيدًا عن السرد التاريخي المجرد، مما يجعلها مرجعًا مهمًا للباحثين في الفقه السياسي الإسلامي، والأنظمة الإدارية، ودراسات القيادة والأزمات.

وذكرت هذه الدراسة الازمات والنزاعات والمشاكل التي ظهرت إبان فترة صدر الدعوة وعهد الخلفاء الراشدين والمدة التي تلت ذلك في عهد بني أمية وبني العباس ، وقد تطرقت الدراسة للأسس التي اتبعت ارتكازا علي المنهج القرآني والسنة النبوية الشريفة وكيفية مواجهة هذه الأزمات التي كادت تقص

الإسلام والمسلمين . أولا: أهمية الدراسة : .١التعريف بالأزمات والمواقف الصعبة التي عايشها المسلمون . .٢كيفية معالجة الأزمات وفق المنهج الرباني والسنة المشرفة . ثانيا : أهداف الدراسة : تهدف الدراسة إلي : .١إلقاء الضوء علي الأزمات والنزاعات التي ظهرت في العهود الأولي من الإسلام . .٢توضيح كيفية مواجهة هذه المشكلات وفق المنهج الرباني والسنة النبوية . ومن أهم نتائج الدراسة أن المنهج القرآني قد أبرز أن الله سبحانه وتعالي نصر رسله في كافة المواقف بجنوده من الملائكة والريح ولا يعلم جنود ربك إلا هو كما واجه الرسول صلي الله عليه وسلم بعض الأزمات عن طريق الالتجاء إلي الله سبحانه وتعالي بالدعاء وكذلك عن طريق الشورى وأراء الصحابة والتزام رأي الجماعة . كما توصي الورقة باتباع المنهج الرباني والسنة النبوية والشورى وأراء السلف الصالح في مجابهة الأزمات بشتي أنواعها

الأوضاع الإدارية قبل الهجرة وإشكالية الإدارة في يثرب

بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى يثرب (المدينة المنورة) سنة ٦٢٢ م، لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم مجرد داعية أو زعيم قبلي، بل تولّى إدارة مدينة متعددة الجماعات والأديان ووضع أسسًا إدارية وسياسية متكاملة للدولة الإسلامية الناشئة وقد شكَّلت هذه التجربة نموذجًا فريدًا في التاريخ البشري للدولة وإدارة الجماعات الاجتماعية المختلفة تحت سلطة واحدة (علي، ١٩٩٣، ١٣٠).

يُعدّ اسم يثرب من أشهر الأسماء القديمة للمدينة المنورة ويُرجع بعض المؤرخين تسميتها بهذا الاسم إلى أول من سكنها بعد التفرّق، وهو يثرب بن قانية بن مهائيل بن إرم بن عبيل بن عوض بن غرم بن سام بن نوح عليه السلام، وعندما هاجر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، غيّر اسمها إلى طيبة وطابة، كراهيةً لما يحمله اسم يثرب من دلالات لغوية غير محمودة، لما في مادة «التثريب» من معنى اللوم والتعيير والإفساد. وقد أصبحت تُعرف بعد ذلك بـ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لنزوله بها واتخاذها مقرًّا لدعوته(الحموي، ١٩٧٧، ٤٣٠).

كانت الأوضاع الإدارية في يثرب(المدينة المنورة) قبل الهجرة تتسم بطابع قبلي واضح إذ تكوَّن مجتمعها من قبيلتي الأوس والخزرج إلى جانب عدد من الطوائف اليهودية، دون وجود سلطة مركزية قادرة على ضبط العلاقات بينهم وقد أدى هذا الفراغ الإداري والسياسي إلى تفشي النزاعات والصراعات القبلية المستمرة، نتيجة هيمنة العصبية القبلية ونزوع كل جماعة إلى السيطرة والدفاع عن مصالحها الخاصة، مما أضعف الاستقرار والأمن داخل المدينة، وبقيت هذه الروح القبلية بما تحمله من خصومات وتحاقد كامنة في نفوس أهل يثرب، تتجدد أسبابها مع كل حادثة أو خلاف، الأمر الذي أبرز إشكالية الإدارة وضرورة إيجاد نظام جديد يوحِّد الأطراف المتعددة تحت سلطة واحدة عادلة(محمد، ٢٠١٩، ٤١)

ومع قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثرب، شهد المجتمع تحولًا جذريًا في بنيته الاجتماعية والإدارية؛ إذ عمل على تهذيب النفوس وتغيير القيم السائدة، فدعا إلى الأخلاق الإسلامية وآدابها، وأمر بالكف عن التحاقد والتباغض وحث على التأخي والتحاب في الله، مما أسهم في تلاشي النزاعات القبلية إلى حدٍّ بعيد كما كان من فضل الإسلام على أهل يثرب أنه شغلهم بمحاربة الفساد، ومكافحة الباطل، والتصدي للشرك والبغي، فحوَّل طاقاتهم من الصراع الداخلي إلى البناء المشترك والدفاع عن الحق، حتى استحقوا وصفهم بأنهم أنصار الله ورسوله، وأنصار الإسلام والحق، بعد أن تجاوزوا نزعاتهم القبلية الضيقة(خالد، ١٩٨٦، ٣٤).

الإدارة تعد من العلوم المهمة لإنجاز الأعمال ويوجد نظريات مختلفة بالإدارة وسنقوم باستعراض بعض التعاريف التي وضعها كبار علماء الإدارة:

فردريك تايلور :Frederick Taylorالإدارة هي القيام بتحديد ما هو مطلوب عمله من العاملين بشكل صحيح ثم التأكد من أنهم يؤدون ما هو مطلوب منهم من أعمال بأفضل وأرخص الطرق.

جون ف. مي :Jone f.meالإدارة هي فن الحصول على أقصى نتائج بأقل جهد حتى يمكن تحقيق آقصى سعادة لكل من صاحب العمل والعاملين مع تقديم أفضل خدمة للمجتمع.

هنري فايول :Henri Fayolتعني الإدارة بالنسبة للمدير أن يتنبأ بالمستقبل ويخطط بناء عليه، وينظم ويصدر التعليمات وينسق ويراقب.

شيلدون :Sheldonالإدارة وظيفة في الصناعة يتم بموجبها القيام برسم السياسات والتنسيق بين أنشطة الإنتاج والتوزيع والمالية وتصميم الهيكل التنظيمي للمشروع والقيام بأعمال الرقابة النهائية على أعمال التنفيذ كافة.

ويليام وايت :William Whiteإن الإدارة فن ينحصر في توجيه وتنسيق ورقابة عدد من الأشخاص لإنجاز عملية محددة أو تحقيق هدف معلوم.

ليفنجستون :Livingstoneالإدارة هي الوظيفة التي عن طريقها يتم الوصول إلى الهدف بأفضل الطرق وأقلها تكلفة وفي الوقت المناسب وذلك باستخدام الإمكانيات المتاحة للمشروع.

تجليات القيادة النبوية في إدارة الدولة بالمدينة المنورة والأسس السياسة

جسّد النبي صلى الله عليه وسلم المبادئ الكلية والأصول العامة للسياسة في واقع الدولة والمجتمع المدني وذلك عن طريق ممارساته العملية وتوجيهاته التطبيقية في مختلف الميادين السياسية والاجتماعية والإدارية والعسكرية فلم تظل هذه المبادئ حبيسة التنظير، بل تحوّلت في المدينة المنورة إلى نموذج عملي للدولة المنظّمة التي تُدار وفق ضوابط الشرع ومقاصده، بما يحقق مصالح الجماعة ويحفظ استقرار المجتمع(عودة، ٢٠٠١، ١٥٠).

ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم مبلّغًا للوحي فحسب بل كان في الوقت نفسه قائدًا للدولة الإسلامية ورئيسًا لسلطتها التنفيذية والقضائية والعسكرية، يدير شؤونها بحكمة تستند إلى الهدي الإلهي، وتقوم على مراعاة المصالح ودرء المفاسد مع اعتماد مبدأ الشورى وملاحظة اختلاف الأحوال والظروف الزمانية والمكانية(الأسمر، ٢٠٠٤، ٣٧).

- **النبي صلى الله عليه وسلم بوصفه حاكمًا وإمامًا**

تتجلى المظاهر الإدارية السياسية في العهد النبوي بوضوح في التصرفات التي باشرها النبي صلى الله عليه وسلم بصفته حاكمًا وإمامًا للمسلمين وهي تصرفات تختلف في طبيعتها ومقاصدها عن تصرفاته في مقام التبليغ والتشريع أو التعليم والإرشاد إذ ترتبط بتدبير شؤون الدولة وتنظيم المجتمع بما يحقق الصالح العام ويضمن استقراره (الصدوق، دون سنة نشر، ١٢١)

وقد أكد العلماء على أهمية التمييز بين هذه المقامات لما لذلك من أثر بالغ في فهم النصوص الشرعية وتنزيل الأحكام ومن أبرز من تناول ذلك الإمام القرافي، الذي بيّن في كتابه «الفروق» أن تصرفات النبي صلى الله عليه وسلم تتنوع بتنوع صفته، ولكل نوع منها أثره في الاستدلال الفقهي والسياسي، وقد تجلت هذه التصرفات السياسية والإدارية في المدينة المنورة في صور متعددة، من أبرزها:

١. تنظيم الجهاز الإداري وتعيين المسؤولين:

عمل النبي صلى الله عليه وسلم على بناء جهاز إداري منظم، فقام بتعيين الولاة على الأقاليم، والأمراء على السرايا، وعمّال الزكاة، والقضاة للفصل بين الناس، مع مراعاة الكفاءة والأمانة، وهو ما يعكس وعيًا إداريًا متقدمًا بأهمية توزيع الصلاحيات وتحقيق المصلحة العامة (الكليني، ١٩٨٩، ١٦٣).

٢. إدارة الشؤون العسكرية والأمنية:

اضطلع النبي صلى الله عليه وسلم بمسؤولية القيادة العسكرية للدولة، فكان يخطط للغزوات، ويختار القادة، وينظم السرايا، ويعقد الهدن، ويقرر السلم والحرب، في إطار صلاحيات الإمام الذي يهدف إلى حماية الدولة وتأمينها داخليًا وخارجيًا.(الصدوق، دون سنة نشر، ١٢١) .

٣. إدارة الموارد المالية وبيت المال:

تولى النبي صلى الله عليه وسلم تنظيم الشؤون المالية للدولة، عن طريق الإشراف على بيت المال، وتوزيع الأنفال والغنائم والصدقات وفق معايير تحقق العدالة الاجتماعية والتكافل، وتمنع التفاوت الطبقي، مع مراعاة المقاصد الشرعية في الإنفاق(الاثير، ٢٠٠٩ ، ٢٨١).

٤. القضاء وفض المنازعات:

مارس النبي صلى الله عليه وسلم القضاء بين الناس، وفصل في الخصومات، وأرسى مبادئ العدل والمساواة، سواء بين المسلمين أو بينهم وبين غيرهم، مما يعكس الدور الجوهري للسلطة القضائية في استقرار المجتمع وترسيخ هيبة الدولة.

٥. إدارة العلاقات الخارجية وعقد المعاهدات:

أبرم النبي صلى الله عليه وسلم العديد من المعاهدات والاتفاقيات مع القبائل والدول المجاورة، ومن أبرزها صلح الحديبية، وهي تصرفات سياسية هدفت إلى تأمين حدود الدولة، وتحقيق السلم، وتهيئة بيئة مستقرة لنشر الدعوة الإسلامية.

وتؤكد هذه الممارسات أن الدولة في المدينة المنورة لم تكن كيانًا عفويًا، بل قامت على أسس إدارية وسياسية واضحة، تمثل تطبيقًا عمليًا لمفهوم السياسة الشرعية، وتشكل نموذجًا متكاملًا للحكم الرشيد، يمكن الاحتذاء به في بناء الأنظمة السياسية في الإسلام.

- **القيم الحاكمة والتطبيقات العملية للسياسة النبوية في إدارة الدولة بالمدينة المنورة**

لقد اتسمت السياسة النبوية بجملة من القيم الحاكمة، في مقدمتها الحكمة، والمرونة، والعدل، ومراعاة المقاصد، وقد تجلت هذه القيم في مواقف عملية متعددة شكّلت نماذج تطبيقية واضحة للسياسة في إدارة الدولة والمجتمع في العهد النبوي وتعكس هذه النماذج منهجًا متكاملًا في تدبير الشأن العام، يوازن بين

الثوابت الشرعية ومتطلبات الواقع، ويهدف إلى حفظ كيان الأمة ووحدتها وتحقيق مصالحها العليا.(رشيد، ٢٠٢٥، ٣.٢).

ومن أبرز هذه التطبيقات ما يأتي:

١. مبدأ الشورى في صناعة القرار السياسي: جعل النبي صلى الله عليه وسلم الشورى أصلًا ثابتًا في إدارة شؤون الدولة، امتثالًا لأمر الله تعالى في قوله: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله سبحانه: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ [الشورى: ٣٨]. وقد طبّق النبي صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ في مواقف مصيرية، كاستشارته الصحابة في معركة بدر، وأحد، والخندق، وكذلك في صلح الحديبية، مما يدل على التزامه بالشورى بوصفها قاعدة سياسية تعزز المشاركة الجماعية، وتغرس روح المسؤولية المشتركة في اتخاذ القرار، وتسهم في ترسيخ الاستقرار الداخلي للدولة (الحلي، ١٩٩٧ ، ٩٣).

٢. صلح الحديبية نموذجًا لتحقيق المقاصد العليا:

يُعد صلح الحديبية من أبرز النماذج السياسية التي تُظهر عمق السياسة الشرعية في مراعاة المقاصد الكبرى، حتى وإن خالفت ظاهر المصلحة الآنية فعلى الرغم مما تضمّنه الصلح من بنود بدت في ظاهرها مجحفة بحق المسلمين، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قبِل بها انطلاقًا من تقديرٍ دقيقٍ للمآلات، مثل إيقاف حالة الحرب، وتأمين الدولة الإسلامية الناشئة، وفتح المجال أمام الدعوة الإسلامية للانتشار السلمي. وقد أثبتت الوقائع اللاحقة أن هذا الصلح مثّل فتحًا سياسيًا واستراتيجيًا، كما عبّر عن ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا﴾ [الفتح: ١].

٣. سياسة توزيع العطايا وتأليف القلوب:

راعى النبي صلى الله عليه وسلم في توزيع العطايا تحقيق المقاصد الشرعية والاجتماعية، فكان يوازن بين العدالة الظاهرة والمصلحة العامة، ويأخذ بعين الاعتبار اختلاف أحوال الناس ومستويات إيمانهم. ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما قام به يوم حنين، حين خصّ المؤلفة قلوبهم بنصيب وافر من الغنائم، بهدف تثبيت إيمانهم واستمالة زعماء القبائل، وهو ما أثار تساؤل بعض الصحابة. غير أن النبي صلى الله عليه وسلم أوضح لهم أن هذا التصرف يندرج ضمن السياسة الشرعية التي تُقدّر المصالح، وتقدّم مصلحة الجماعة واستقرار الدولة على الاعتبارات الفردية (مطهري، ١٩٨٦، ٨٦).

٤. تنظيم العلاقات مع القبائل والمنافقين واليهود

اعتمد النبي صلى الله عليه وسلم سياسة متوازنة في إدارة العلاقات الداخلية والخارجية للدولة، فوثّق العهود مع القبائل المجاورة، وعقد التحالفات التي تخدم مصلحة الدولة الإسلامية، وفق رؤية سياسية تقوم على تحقيق الأمن والاستقرار كما تعامل بحكمة مع المنافقين داخل المدينة، فلم يُقدم على معاقبتهم علنًا على الرغم من علمه بحقيقتهم، اتقاءً لمفسدة أعظم، وهي تشويه صورة الدولة الإسلامية، وقد عبّر عن ذلك بقوله: «لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه»(رشيد، ٢٠٢٥، ٣٠٤).

أمّا في علاقته باليهود، فقد أبرم معهم وثيقة المدينة التي نظمت العلاقة بين المسلمين وغيرهم، وأرست أسس التعايش السلمي والتعاون المشترك. وحين نقض بعضهم العهود وتآمروا على الدولة، تعامل النبي صلى الله عليه وسلم معهم بما تقتضيه السياسة الشرعية من إجراءات تحفظ الأمن الداخلي وتصون وحدة الأمة.

الخاتمة

خلص هذا البحث إلى أن المدينة المنورة لم تكن مجرد موضع للهجرة النبوية أو عاصمة دينية للدولة الإسلامية الناشئة بل مثّلت نواةً حقيقية لتأسيس نظام إداري وسياسي متكامل أرسى النبي صلى الله عليه وسلم من خلاله دعائم الدولة القائمة على الشرعية والتنظيم والعدل والمشاركة المجتمعية، فقد شكّلت التجربة المدنية نموذجًا عمليًا لتحويل مجتمع قبلي متنازع إلى كيان سياسي منظم تحكمه القيم والمبادئ، وتدار شؤونه وفق رؤية شمولية تراعي المصالح.

وأظهر البحث أن الإدارة النبوية في المدينة المنورة قامت على أسس واضحة تمثلت في اعتماد مبدأ الشورى، وتنظيم الجهاز الإداري وتوزيع الصلاحيات وربط السلطة بالقيم الأخلاقية فضلًا عن إدارة العلاقات الداخلية والخارجية بحكمة ومرونة، كما برزت صحيفة المدينة بوصفها وثيقة سياسية وإدارية رائدة أسهمت في تنظيم التعايش المجتمعي وترسيخ مفهوم الدولة الجامعة التي تتجاوز الانتماءات القبلية والدينية الضيقة.

كما بيّن البحث أن السياسة النبوية لم تكن سياسة آنية أو ردود أفعال ظرفية بل كانت سياسة مقاصدية واعية، تستند إلى تقدير المصالح العامة ودرء المفاسد وهو ما تجلى بوضوح في مواقف كصلح الحديبية، وسياسة تأليف القلوب، وإدارة التنوع الديني والاجتماعي داخل الدولة وقد مكّن هذا المنهج الدولة الإسلامية من تحقيق الاستقرار الداخلي، وبناء كيان سياسي قوي، قادر على الاستمرار والتوسع.

وفي ضوء ما سبق يتضح أن تجربة المدينة المنورة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم تمثل الأساس النظري والتطبيقي للفكر السياسي والإداري الإسلامي وأن دراستها لا تقتصر على بعدها التاريخي بل تمتد لتقدم نموذجًا معرفيًا قابلًا للاسترشاد به في بناء النظم السياسية المعاصرة بما يحقق التوازن بين القيم والثوابت من جهة، ومتطلبات الواقع المتغير من جهة أخرى.

المصادر:

١. القرآن الكريم.

٢. ابن الاثير، عز الدين (٢٠٠٩)، الكامل في التاريخ، بيت الأفكار الدولية، الأردن ، عمان.

٣. الشعيبي، احمد قائد(٢٠٠٥)، وثيقة المدينة المضمون والدلالة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة (١).

٤. أبو عويضة، نائلة عبد الرحمن (٢٠١١)، إدارة الأزمات السياسية والعسكرية في ضوء السنة النبوية، جامعة آل البيت، كلية الشريعة، قسم أصول الدين.

٥. الجابري، محمد عابد(١٩٩٠)، العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

٦. الحلي، ابن المطهر(١٩٩٧)، تذكرة الفقهاء، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٧. الحموي، شهاب الدين ياقوت(١٩٧٧)، معجم البلدان ، ج٥، دار صاد، بيروت.

٨. الصدوق، الشيخ، من لا يحضره الفقيه ، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي.

٩. الكليني، محمد بن يعقوب (١٩٨٩)، الكافي ، تحقيق دار التعارف، بيروت.

١٠. الأسمر، احمد رجب(٢٠٠٤)، القدوة في السيرة النبوية، ط ١، دار الفرقان، عمان.

١١. خالد، حسن(١٩٨٦)، مجتمع المدينة قبل الهجرة وبعدها، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

١٢. عودة، عبد القادر(٢٠٠١)، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، دار الكتاب العربي، مصر.

١٣. علي، جواد(١٩٩٣)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٤، ط ٢، جامعة بغداد.

١٤. محمد، محمد عثمان عبد القادر(٢٠١٩)، صحيفة المدينة ودورها في استقرار الدولة الإسلامية في الفترة من (٦٦٢-٦٣٢ م)، كلية الاداب، قسم التاريخ، جامعة النيلين.

١٥. مطهري، مرتضى (١٩٨٦)، نظام الحقوق في الإسلام ، دار التعارف.

References

The Holy Qur'an.

1. ***Ibn al-Athīr, ʿIzz al-Dīn*** *(2009).* Al-Kāmil fī al-Tārīkh (The Complete History). *Bayt al-Afkār al-Duwaliyya, Amman, Jordan.*
2. ***Al-Shuʿaybī, Aḥmad Qāʾid*** *(2005).* The Constitution of Madinah: Its Content and Significance. *Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, Qatar, 1st ed.*
3. ***Abu ʿUwayḍa, Nāʾila ʿAbd al-Raḥmān*** *(2011).* The Management of Political and Military Crises in the Light of the Prophetic Sunnah. *Al al-Bayt University, Faculty of Sharīʿah, Department of Uṣūl al-Dīn.*
4. ***Al-Jābirī, Muḥammad ʿĀbid*** *(1990).* Arab Political Reason: Its Determinants and Manifestations. *Arab Cultural Center, Casablanca.*
5. ***Al-Ḥillī, Ibn al-Muṭahhar*** *(1997).* Tadhkirat al-Fuqahāʾ (Memorandum of the Jurists). *Ahl al-Bayt Foundation for the Revival of Heritage.*
6. ***Yāqūt al-Ḥamawī, Shihāb al-Dīn*** *(1977).* Muʿjam al-Buldan (Dictionary of Countries), *vol. 5. Dār Ṣādir, Beirut.*
7. ***Al-Ṣadūq, Shaykh***. Man Lā Yaḥḍuruhu al-Faqīh (He Who Has No Jurist Present). *Edited by the Islamic Publishing Institution.*
8. ***Al-Kulaynī, Muḥammad ibn Yaʿqūb*** *(1989).* Al-Kāfī. *Edited by Dār al-Taʿāruf, Beirut.*
9. ***Al-Asmar, Aḥmad Rajab*** *(2004).* Role Modeling in the Prophetic Biography, *1st ed. Dār al-Furqān, Amman.*
10. ***Khālid, Ḥasan*** *(1986).* The Society of Madinah before and after the Hijrah. *Dār al-Nahḍah al-ʿArabiyyah, Beirut, Lebanon.*
11. ***ʿAwda, ʿAbd al-Qādir*** *(2001).* Islamic Criminal Legislation Compared with Positive Law. *Dār al-Kitāb al-ʿArabī, Egypt.*

12. ʿ***Alī, Jawād*** *(1993).* Al-Mufaṣṣal fī Tārīkh al-ʿArab Qabl al-Islām (The Detailed History of the Arabs before Islam)*, vol. 4, 2nd ed. University of Baghdad.*

13. ***Muḥammad, Muḥammad ʿUthmān ʿAbd al-Qādir*** *(2019).* The Charter of Madinah and Its Role in the Stability of the Islamic State (632–662 AD). *College of Arts, Department of History, Al-Neelain University.*

14. ***Muṭahharī, Murtaḍā*** *(1986).* The System of Rights in Islam*. Dār al-Taʿāruf.*